

كتاب

الاهوية والمياه والبلدان

لنبي الطب ابقرط

— ١٠٠١ —

استخرجه الى اللغة العربية

الدكتور

شلي شميل

طبع في مطبعة المقتطف في القاهرة

سنة ١٨٨٥

تمهيد

أبقراط المكنى بابي الطب وُلِدَ في جزيرة كوس
سنة ٤٦٠ قبل الميلاد على ما ذكر هيستوخاوس
وذكر صورانوس الكوسي انه وُلِدَ في ٢٦ من شهر
اغريانوس من السنة عينها

والكتب المنسوبة له لم تذكر إلا من عهد مدرسة
الاسكندرية فان هروفيلوس اول من شرح منها كتاب
الانذار او تقدم المعرفة في اوائل القرن الثالث قبل
الميلاد اي بعد ابقراط بنحو ١٢٠ سنة ولم تشتهر جداً
الأعلى عهد جالينوس المولود سنة ١٢٠ للميلاد فانه

اعنى مجمعها وضبطها بعد ان كادت تدرس قبله
 واوشك طب ابقراط ان ينسى لولاه حتى صارت
 بعده المنهل الذي يستقي منه كل طبيب وقاعدة
 الطب القديم

ومن اعنى بها جداً العرب على عهد الخليفة
 عبد الله المأمون ابن الرشيد سابع الخلفاء العباسيين في
 الربع الاول للقرن التاسع للميلاد فاستخرجوا اكثرها
 من الاصل اليوناني وعلقوا عليها الشروح واكثروا
 فيها التصانيف ولا نعلم اذا كانت هذه الكتب لا تزال
 في لغتنا على وضعها الاول لهذا العهد لاننا لم نعر منها
 الا على جزء حقير من كتاب الفصول ناقص كما علمنا
 من مقابلته على النسخ المعول عليها وانما نعلم ان كثيراً
 منها متفرقة في كتب اطبائنا الاقدمين وموجود فيها
 احياناً كما هو في الاصل كما يعلم من تصفح بعض فصول

من كتاب التناون لكبير حكمائنا وعظيم اطبائنا الشيخ
الرئيس ابن سينا

ولا يخفى ان هذه الكتب كثيرة جداً انما ليست
كلها له باجماع المحققين وقد عرف الشارحون ذلك
منذ التديم اي منذ عهد مدرسة الاسكندرية وذهب
بترسُن في عصرنا الى ان الكتب التي لا مشاحة في انها
له انما هي سبعة فقط وهي الكتاب الاول والثالث من
كتب الامراض الوافدة والاجزاء الستة الاول من
كتاب الفصول وكتاب الاهوية والمياه والبلدان
وكتاب تدبير الامراض الحادة وكتاب جروح الرأس
ولا ريب ان كتاب الاهوية والمياه والبلدان
هذا من اصح هذه الكتب نسبة له ومن اجلها كذلك
وهو نتيجة اخباره الواسع ونظره الدقيق في ما لمواقع
البلدان ولطبيعة الماء والهواء ولاخلاف الفصول من

الاثر في الامراض والتخلق وما لها وللحكومات كذلك
 من الاثر في الاخلاق وربما لامة المتأخرون على انه في
 تقرير نتائج اخباره لا يذكر كيف اتصل اليها ولا بآية
 طرق يمكن تحتها قال لبتري "ان ابقراط في ذكر مواقع
 البلدان يقول ان البلد المعرض للشمال مثلاً تكثرفيه
 ذات الرئة وسائر الامراض الحادة ويعرض فيه تيج
 الرئة لاقل سبب ويقل فيه الرمد وان عرض كان
 يابساً شديداً يتلف العين بسرعة ويعرض لمن تحت
 سن الثلاثين رعاف شديد في الصيف قال وهذا
 منهاج ابقراط في هذا الكتاب واما اليوم فطريتهم
 تختلف عن ذلك وينهجون في تقرير النتائج منهاج
 الاحصاء في تدوين الحوادث على مدى سنين كثيرة".
 ولا شك ان أثر هذه الاسباب في الانسان مهم جداً
 وتعليم ابقراط في ذلك من اعظم ما تركه لنا القدماء

ويظهر منه أنهم كانوا كثيرون الاغناء بمثل هذه المباحث
التي لم ينتبه لها المتأخرون كما ينبغي إلا من نحو ٢٥ سنة
فقط قال ليتري في المجلد الثاني من كتب ابقرات
المطبوع سنة ١٨٤٠ "ان هذا البحث قد اعثنى به
المتقدمون أكثر جداً من المتأخرين مع ان هؤلاء أكثر
اخباراً في طبيعة المواقع والمياه والفصول والاقاليم انما
هم لا يستفيدون من ذلك وينبغي إعادة تأليف كتاب
ابقرات في الاهوية والمياه والمساكن على اخبار اوسع
ونظراً اعم للحصول على نتائج مختلفة أكثر وواضحة كذلك
... ونظر ابقرات في ما للاقاليم من الاثر في الخلق
والخلق يستحق التفاتاً خصوصياً وهو قريب جداً من
نظر جفروا سنتيليار اليوم فجفروا يذهب الى ان
اختلاف الحيوان انما هو من اختلاف العوامل المؤثرة
فيه وابتقرات يقول ان اختلاف الشعوب ناشئ عن

اختلاف التربة والاقليم " انتهى . ألا انه قد مرّ على
 هذا القول نحو من ٤٥ سنة قد اتسعت المعارف فيها
 جداً واستقرّ هذا المبحث على منهاج علمي وحصل
 الغرض الذي اشار اليه ليتري باكثر مما كان يتوقع في
 هذا العهد القصير اذ علم ما للاحوال الطبيعية من
 الاثر في الخلق والاخلاق وتكون الانواع من عهد
 مذهب داروين وكثرت المصنفات الضخمة في ذلك
 ايضاً ألا ان قول ليتري ربما لا يزال لليوم صحيحاً في
 بعضه لان هذا المبحث انما اتسع جداً في القسم الطبيعي
 منه لا في القسم الطبي اعني من حيث اثر الاحوال
 الطبيعية في الخلق والاخلاق لا في الامراض وربما
 تفرغوا لذلك على منهاج داروين في مذهبه بعد فراغهم
 من مبحث الجراثيم المحوّمة عليه الافكار اليوم والمتجهة
 صوبه الانظار واستقرارهم فيه على الحق الراهن منه

ولعلّ هذا المبحث الخطوة الاولى نحوّه لانه ان صحّ ان
 الجراثيم سبب الامراض وجب ان يبحث في ما يسببها
 من الاحوال الطبيعية كذلك وفي تحولاتها ايضاً وهو
 مبحث واسع جداً كثير الفائدة ولعله لا يمضي طويل
 زمن حتى يلمع شهابه ويفتح للباحثين بابه

وابتصراف يجعل سبب اختلاف البشر في الخلق
 والاخلاق من اثر الاقاليم والحكومات فقط ولا ريب
 ان اختلافات الفصول وطبيعة المكان ونوع الاحكام
 تؤثر جداً في احوال الامم وعوائدهم وخلقهم واخلاقهم
 الا انه ناقص في بابه قال ليتري "ان ابتصراف يقول ان
 طبيعة الاقليم والشرائع هي التي تجعل اهل اوربا اشد
 نجدة للحروب من اهل اسيا ومعلوم اننا رأينا على تراخي
 الايام ان الفرس الذين غلبهم اليونان لم يقدر عليهم
 الرومان بعد ذلك وان اليونان ضعفوا جداً في عهد

سقوط سلطتهم وذبول شوكتهم وان العرب انهم يوم
كان لهم فيه نصر في الحروب مبين وشرف ينطع السالك
بروقه وعز يملأ الاجبال . فمثل هذه الامثلة تكفي
لان تبين ان النجدة للحروب لا تختص باقليم دون آخر
وكذلك يقال عن الاحكام فان النجدة لا تتوقف عليها
كما انها لا تتوقف على الاقليم وانما تتوقف على النظام
وعلم الحرب فان نفراً قليلين منظمين من الاسوجيين
ظهروا على الروس الكشبرين النير المنتظمين في موقعه
بلتاوا والانكليز قد جندوا من الهنود جنوداً شديدة
البأس في سنين قليلة وقد كان للمصريين على عهد
محمد علي جنود باسلة فالاقليم والحكومات اثرها في
نجدة الحرب قليل والنظام والعلم هما اللذان يفعلان
كل شيء " انتهى . والظاهر ان ليتري في هذا المقال لم
يُصِيب غرض ابغراط او انه وقع في نفس ما اخذه به

من الانحياز الى جانب دون آخر. نعم لا ينكر ان العلم
 من اقوى الوسائط المؤثرة في الانسان والمغيرة لاحواله
 حتى ذهب بعضهم الى ان الانسان من يوم اتخذ الكساء
 وشاد البيوت واصطنع السلاح لم يتغير بدنه كثيراً بما
 صار له من الوسائط التي تمكن بها من ردع قوى
 الطبيعة وتحويل اثرها وصرفه الى غرضه الا انه لا ينكر
 ايضاً ان للاقليم الاثر الاول في ذلك وقد يضعف هذا
 الاثر بما يطرأ عليه من الاسباب المحولة انما لا يزول كلياً
 قط ولا شك ان الاقاليم التي تكثر تغيرات فصولها
 تؤثر في الاخلاق وتكسبها استعداداً يجعلها اشد تنبهاً
 بحيث تتوفر فيها صفة الشجاعة اكثر مما في الاقاليم التي
 تستوي فصولها وكذلك يقال عن الاحكام فان الامة
 الواقعة تحت الحكم الاستبدادي يؤثر ذلك في اخلاقها
 فتذل نفوسها حتى تصير اكثر جبناً واسهل اقياداً من

الامم التي لا تعرف شرائعها الاستبداد فان كان المراد
بقول ابقراط (نجدة المحروب) النظام الجندي او
النصر المترتب عليه فربما كان مخطئا انما ذلك لا يستفاد
من كلامه والظاهر انه يريد بها الشجاعة والاقدام على
الحرب ولا يخفى ان النظام الجندي والاقدام على التجند
يُفرق احدهما عن الآخر كما يُفرق النصر عن الفشل
فالبحر بالنظام الجندي تدفع الانسان للقتال فهرا
دون رضى كما تدفع الآلة للعمل والنصر فيها مترقب
على الحكمة والتدبير وهما من العلم كما قال ليتري واما
الاقدام على الحرب فهو اندفاع طبيعي يثور في الانسان
ويدفعه الى الخطر عن رضى وربما لم ينظر في العواقب
وذلك من صفة الاقليم ونوع الاحكام فابقراط لم يغلط
من هذا القبيل وان كان قد اخطأ فخطاؤه انما هو
بكونه قصر الاثر المذكور في الاخلاق على الاسباب

الطبيعية ونوع المحكومات فقط ولو قال الاسباب
 المعنوية لكان اتم واعم ولتناول ذلك المحكومات
 والاديان والعوائد والتعليم لان الانسان تفعل فيه
 اسباب كثيرة جداً ما عدا الاقليم والمحكومات وفي
 اعتبار تغير الانسان وتبدل الام والممالك يجب اعتبار
 هذه الاسباب جملة لان لكل منها اثر في تغيير اثر سواه
 بحيث تنوع الاختلافات الناشئة عن هذه الآثار الى
 ما لا نهاية له وربما لزم كذلك اعتبار الاسباب الفاعلة
 في تغير الاقليم نفسها كبادرة الاغدا لين وتغير محور
 الارض ما لا بد من اثره فيها على مر العصور المتطاولة
 وقد وصف ابقراط في هذا الكتاب مرضاً
 يعرض للصقالب قال انهم يفقدون قوة الباه ويتخلّعون
 باخلاق النساء ويتزيّون بازياهنّ ويشغلون اشغالهنّ
 وذكر هيرودوت قبل ابقراط هذا المرض ايضاً قال

"ان الزهرة غضبت على الذين نهبوا هيكلها في اصقلون
 من الصقالب فرمتهم هم ونسلم بالمرض المؤث فالى
 هذا السبب ينسب الصقالب هذا المرض ويمكن
 للسياح الذين يذهبون الى بلادهم ان يروا هولاء الناس
 انتهى". وقد اختلفوا في حقيقة هذا المرض والمستفاد
 من كلام ابقراط انه فقد الباه وذكر اسبابه الطبيعية كما
 يرتي وذكر طريقته في معالجته ولا يظهر من كلامه انه
 ذكره عن معاينة واخبار بل عن نقل الا ان فقد الباه
 لا يوجب في صاحبه التخلق باخلاق النساء كما ذكر.
 ولعله الابنه كما قال روزنبوم وواقفه ليتري لانه ينطبق
 على وصف هيرودوت في انتقال هذا المرض في النسل
 ولا يناقض قول ابقراط والظاهر من رواية سليوس
 اورليانوس ان الاطباء في القديم كانوا يعتبرون هذه
 العلة مرضاً حقيقياً يتقل في النسل بالوراثة

ومن وصايا ابقراط في هذا الكتاب اجتناب
المساهل والشق وكل المعالجات القوية في الاوقات
التي يكون اخلاف الفصول فيها عظيماً وخاصة
المدارين والانتلابين ولا شك انه نظر في ذلك الى ما
يطرأ على البدن من الاهتزازات الشديدة في هذه
الاوقات وربما كانت مراعاة ذلك شديدة الوجوب
لما يكون حينئذ في البدن من الاستعداد لشدة التأثير
بسبب الانتقال من فصل الى آخر انما قلما ينظر اليوم
الى ذلك في استعمال هذه الوسائط الشفائية . والحق
ان طبيعة الامراض واستعداد البدن يختلفان جداً
باختلاف الاوقات وباختلاف مزاج الفصول والسنين
ايضاً بحيث تكون طبيعة المرض الواحد ردية في هذا
الفصل او هذه السنة جيدة في غيرها وعواقب الجراحة
ردية او جيدة كذلك كما لا يخفى على كل طبيب مارس

صناعته وإن صَعُبَ عليه تعيين مثل هذا المزاج فيل
البدن للتمتع مثلاً وتكوّن الخراج قد يشتد في بعض
السنين أو الفصول فكل شقٍ حيثُ قد يعسر برؤُ
وقد تكلم ابقراط في هذا الكتاب أيضاً عن
اختلاف المياه بالطعم والوزن وعن المياه المعدنية
الحارة وعلل تكوّن الملح والمطر والجليد والضباب
تعليلاً طبيعياً ولم يربشي فيه إلا وحاول تعليله على
هذه الكيفية باذلاً في ذلك جهده وصارفاً إليه كل
اعتنائهِ والسبب بين فأن الأمراض لم تكن أسبابها
تعتبر طبيعية في تلك الأعصار البعيدة كما رأيت في ما
مرّ عليك من رواية هيرودوت عن مرض الصقالب
وكما يُعلم كذلك من استبداد المعابد في تلك الأيام بهذه
الصناعة فلم يكن برؤُها ممكناً طبيعياً وذلك من اعظم
ما لا بقراط من الفضل على الطب

واعلم ان هذا الكتاب كسائر كتب ابقراط لا يخلو
 من تكرار وتطويل وتقدم وتأخير وزيادة وحذف ما
 لا يسلم منه كتاب تداوله الناس وتناقله النساخ زماناً
 طويلاً . ولما كانت النسخة التي ضبطها السلامة ليتري
 الفرنسي اصح النسخ المعول عليها جعلت ائتمادي
 عليها في استخراج هذا الكتاب الى لغتنا وقصدي اذاعه
 ما تضمنه من الفوائد بيننا . ولعلي لا اعدم من ابناء
 جلدتنا من يغض الطرف عن الهفوات في جنب ما
 يُحمد من الغايات

كتاب

الاهوية والمياه والبلدان

لابي الطب ابقراط

من اراد التعقّي في الطب فينبغي له ان
 يفعل ما يأتي : أولاً ان ينظر الى فصول السنة والى اثر
 كل منها وحده ليس فقط لان احدها يختلف عن
 الآخر لكن ايضاً لان التغيرات التي تعرض لكل منها
 تجعل فيه اختلافات عظيمة . ثم يتعرف ما هي الاهوية
 الحارة والباردة العامة على كل البلدان أولاً ثم الخاصة
 ببلدٍ بلد . ويتعرف ايضاً صفات المياه التي تختلف في
 الخواص كما تختلف في الطعم والوزن . اذا متى دخل

طبيبٌ الى بلدٍ لا يعرفه ينبغي له ان ينظر الى موقعه
ونسبته الى الرياح ومطلع الشمس لان اثره يختلف
بحسب تعرضه للمشال او الجنوب او الشرق او الغرب.
ويتعرف جيداً طبيعة المياه التي يستعملها السكان هل
هي لبنة او قاسية خارجة من اماكن مرتفعة صخرية او خشنة
ملحة او اجمية . ويتعرف احوال الارض المختلفة فاما ان
تكون معرّاة يابسة او غابية نزرّة او منخفضة محترقة بجمرة
شديدة او مرتفعة باردة. ويتعرف جنس معيشتهم اموالعون
هم بالخمرة والطعام الطيب والراحة ام نشطاء متعلقون
على الاشغال البدنية يأكلون كثيراً ويشربون قليلاً

٢ على ذلك ينبغي الاعتماد للحكم في كل
شيء فالطبيب العارف باكثر هذه الاشياء او جميعها
ان امكن لا يجهل عند وصوله الى بلدٍ لا يعرفه لا الامراض
الخاصة ولا طبيعة الامراض العامة فلا يتردد في

العلاج ولا يتبع في السفطات التي لا ينجم منها من لم
 يتعمق من قبل في هذه المسائل الجوهرية . وبالاستناد
 الى ذلك ينبئ كلما تقدم الفصل وتقدمت السنة
 بالامراض العامة التي تنتشر بالبلد في الصيف او
 الشتاء وبالامراض التي قد تعرض لكل أحد بتغيير
 جنس المعيشة لانه بمعرفته تغيرات الفصول وطلوع
 الكواكب وغياها مع جميع احوال كل من هذه الظواهر
 لاجرم بقدر ان يعرف المزاج المستقبل للسنة . فبمثل هذا
 البحث والتقدم في معرفة الازمنة يكون الطبيب اعلم بكل
 امر يحدث واعرف بحفظ الصحة ولا يكون قليل النجاح
 في تعاطي صناعته . فان اعترض بان كل ذلك من
 متعلقات المتيورولوجيا فليس يصعب على المتأمل
 قليلاً ان يفهم ان علم الهيئة غير قليل الفائدة للطبيب
 بل مهمة جداً لان حالة اعضاء الهضم تتغير مع الفصول

٣ وانا ابين بالفصيل كيف يكون النظر
 الى كل من المسائل المار ذكرها والتعمق فيها . لنفرض
 مدينة معرضة للرياح الحارة التي تهب بين شروق الشمس
 الشتوي والخراب الشتوي محجوبة عن رياح الشمال
 فيهاها تكون غزيرة مكمحة قابضة الغور . ولذلك هي حارة
 في الصيف باردة في الشتاء ورؤوس سكانها رطبة
 بلغمية وبطونهم دائمة الاختلاف بسبب البلغم النازل من
 رؤوسهم وابدانهم مسترخية وشهواتهم للطعام والشراب
 وضعيفة ويعظم خمارهم من الشراب لضعف رؤوسهم
 واما امراضها المستوطنة فالانسائوها ضعاف ومتعرضات
 للانزفة ثم ان اكثرهن عواقر لرداءة صحتهم لا من طبعهن
 ويكثر فيهن الاسقاط وفي الاطفال التشنج والربو
 اللذان هما فيما يظن سبب مرض الاطفال اتني الصرع
 ويعرض للرجال اختلاف الدم واستطلاق البطن

وحبات يجتمع فيها حرٌّ وبردٌ والحبات الطويلة
 الشتوية وبثورٌ ليلية والبواسير وتل فيهم ذات الجنب
 وذات الرئة والنفات الحارة وسائر الامراض الحادة
 لكثرة استطلاقاتهم ويصيبهم رمد رطب سريع التحلل
 ما لم ينتشر انتشاراً عاماً بسبب اختلاف في الفصل .
 واما الرجال ممن جاوز الخمسين فيعرض لهم الفالج من
 نوازلم اذا غربتهم الشمس بنقطة على راسهم او اصابهم برد .
 تلك هي الامراض المعرض لها سكان هذه الاصقاع ولم
 نتعرض للامراض العامة التي قد تنشأ عن اختلافات
 الفصول والمعرضون لها هم ايضاً

٤ والبلدان المعرضة للضد من ذلك
 المستورة عن ربح الجنوب وعن سائر الرياح الحارة
 والمكشوفة للرياح الباردة التي تهب بين الشروق
 الصيفي وغروبه لها الخواص الآتية . مياها غالباً قاسية

باردة ورجالها اشداء يابسون يعسر اسهالهم ويسهل
فيهم وينقلب في سكانها المزاج الصفراوي على البلني
ودماغهم صحيح يابس وتكثر فيهم الانصداعات الباطنة
وذات الجنب وسائر الامراض الحادة لان البطن اذا
كان يابساً فلا جرم يعرض لكثيرين تيج الرئة لاقط
سبب وهذا ناشئ من صلابة البدن ويؤس البطن
لان يبوسة المزاج وبرودة الماء تعرضان العروق
للانصداع ومن كان هذا مزاجه فشهوته للطعام شديدة
والشراب ضعيفة وليس يكون شديد الشهوة للطعام
والشراب معاً. والرمد يعرض لهم في النادر وان عرض
كان يابساً شديداً ويتأف العين بسرعة ويعرض في
الصيف لمن تحت سن الثلاثين رعا ف شديداً اما الصرع
فقلما يعرض لهم وان عرض كان قوياً ومن مقتضيات
هذه المساكن طول العمر ولا تترهل القروح فيها ولا

تخبث ولا يعسر برؤها ويغلب في اهلها شراسة الخلق
على لبنه . تلك هي الامراض التي تعرض للرجال ولم
تعرض لذكر الامراض التي قد تخالطها بتغير الفصول .
واما النساء ففساوة الماء وخشونته وبرودته تجعل بدنهن
قاسياً والطمث فيهن عديم الانتظام وغير صحيح فيتبل
وتخبث طبيعته وتعسر ولادتهن وقما يعرض لهن
الاسقاط ويصعب عليهن تغذية اطفالهن لئله الباهن
لفساوة الماء وخشونته وقد يعرض لهن السل بعد
الوضع الذي قد يسبب تمزقاً وانصداعاً لعصره ويعرض
للصبيان اذرة الماء وتنزل مع الكبر ويبطئ البلوغ في
هذا المكان . فهانذا قد بينت فعل الرياح الحارة والباردة
وحال البلدان المعرضة لها

○ وانتقل الآن الى البلدان المعرضة للرياح
التي تهب بين الشروق الصيفي والشروق الشتوي والى

ما هو بالضد من ذلك. فالمعرضة للشرق هي بالطبع
 اصح من المعرضة للشمال او الجنوب وان لم يكن الميل الا
 غيرة واحدة فاولاً حرها وبردها اخف ثم ان الماء
 الشاخصة ينابيعها الى الشرق هي ضرورة صافية حسنة
 الرائحة لينة واذيذة لان الشمس عند شروقها تبدد عنها
 الغباب الذي يكثر عفو الهواء في الصباح فتصلحها
 وسكانها احسن لونا واح بدنا الالة واصواتهم
 صافية وهم انهم همة واذكي عتلا من سكان الجهات
 الجنوبية وسائر ما فيها الصلح حالاً منه هناك. فالبلد الذي
 هذا مرقعة اشبه بالربع لا عندال حره وبرده وامراضه
 قليلة خفيفة انما لها بعض المشابهة بامراض البلدان
 المعرضة للرياح الحارة ويكثر للنساء فيه الحمل ويسهل
 وضعهن

٦ واما المدن المكشوفة الى المغرب المستورة

عن الرياح الشرقية والتي قلما توافيها الرياح الحارة
 الجنوبية والباردة الشمالية فهي أربأ ما يكون للصحة بسبب
 موقعها أما أولاً فلأن مياهها غير صافية بسبب الضباب
 الذي يتشرف في الهواء منذ الصباح فيمتزج بالماء ويكدره
 لأن الشمس لا توافيها إلا بعد ارتفاعها في الأفق كثيراً
 وأما ثانياً فلأنه تهب في صباح أيام الصيف نسائم
 باردة وبسقط الندى وفي باقي النهار إذ تقدم الشمس إلى
 المغرب تنبعث منها حرارة محترقة فلذلك كان سكانها
 صفر الألوان مساقم معرضين لجميع الأمراض المار
 ذكرها وليس يختص بهم مرض دون آخر وأصواتهم
 خشنة باحة لرداءة هوائهم الذي لا تصلحه رياح الشمال
 التي قلما توافيهم والرياح النالبة عندهم رطبة جداً تلك
 هي طبيعة رياح المغرب فالمدينة المعرضة لذلك تشبه
 الخريف لشدة التغيرات التي تحصل في اليوم الواحد

فان الفرق بين الصباح والمساء فيها عظيم جداً. ذلك
ما يعلم عن الاهوية الصحيحة والرديئة

٧ أريد الآن ان ابسط الكلام على المياه
وابين ما هو الردي والجيد منها واي ضرر او اي نفع
يحصل عنها لان تأثيرها في الصحة عظيم. فالمياه الراكدة
اجيئة كانت او مياه برك تكون ضرورة في الصيف
سخنة غليظة وكرهية الرائحة ولكونها غير جارية انما آتية
من المطر وتسخنها بجمارة الشمس هي كدرة مضرّة
بالصحة صالحة لتوليد المار وفي الشتاء تتكدّر بالثلج
والجليد فتصير صالحة لتوليد البلغم والجوحة ويصيب
شاربها ضخامة الطحال وصلابة ويرق بطنهم ويحبس
ويسخن وتقص من المناكب والرقاب لما يقل من
غذائهم بسبب الطحال وهذا هو سبب هزالهم ويغلب
عليهم شهوة الجوع والعطش ويعسر قيئهم وتحبس

بطونهم بحيث يحتاج في اسهالهم الى ادوية قوية وهم اعلاء
 صيفاً وشتاءً ويكثر فيهم الاستسقاء فيشتد عليهم الخطر
 لانهم في الصيف معرضون لاختلاف الدم وازق
 الامعاء ولحمى ربع طويلة وهذه الامراض اذا طالت
 تنتهي في مثل مزاجهم بالاستسقاء والموت . واما في
 الشتاء فالاحداث منهم ربما وقعوا في ذات الرئة
 والجنون ويكثر في مشايخهم الحرقه ليبس طبائعهم وفي
 نسائهم التورم والاستسقاء اللحمي ويعسر عليهن الحمل
 والولادة جميعاً ويلدن اجنة متورمين ولكنهم يهزلون في
 زمن الرضاع والدم الذي يعقب الوضع لا يتم فيهن على
 نوع حميد ويكثر لصبيانهم الادر ولكبارهم الدوالي
 وقروح الساق بحيث يستحيل طول العمر في مثل ابدانهم
 فيهرمون قبل وقتهم ويكثر في النساء الحمل الكاذب
 فاذا جاء وقت الولادة انصرف كبر البطن وهذا الحمل

الكاذب ناشئ عن استسقاء الرحم . وعندي ان هذه
المياه مضره كيفما كان استعمالها واغر منها المياه الآتية
من الصخور لتساوتها او من ارض مياها سخنة حديدية
او نحاسية او فضية او ذهبية او كبريتية او شبيهة او قارية
او نظرونية لحرارتها فبها مثل هذه الارض غير موافقة
لانها قاسية سخنة يعسر مرورها بالبول وتجبس البطن
واحسن المياه المياه التي تصب من اماكن مرتفعة وانجاد
الارض فانها عذبة صافية ويطفو عليها الزيت الخفيف
وهي تسخن في الشتاء وتبرد في الصيف وذلك دليل على
انها آتية من اعماق الينابيع واجودها ما كان ينبوعه الى
الشرق ولا سيما الى الشروق الصيفي فانها صافية
حسنة الرائحة وخفيفة واما المياه المرة الملحة القاسية فلا
تصلح للشرب الا في احوال خصوصية سا ذكرها . وما
يؤثر في مياه الينابيع اتجاهها وافضلها ما كان الى الشرق

ثم التجارية بين الشروق الصيفي والغروب الصيفي
وهذه كلما اقتربت الى الشرق كانت افضل وبلغها
التجارية بين الغروب الصيفي والغروب الشتوي
وارداها التجارية الى الجنوب والتجارية بين الشروق
والغروب الشتويين رياح الجنوب تزيدها رداءة
ورياح الشمال تخفف رداءتها . واما من خصوص
استعمال مياه الينابيع فعليك بالتواعد الآتية وهي ان
الانسان الصحيح الشديد لا يحتاج الى تدبير خصوصي
فيقدر ان يشرب من حاصر الماء واما من كانت صحته
تحتاج الى تدبير فعليه بالاحتياطات الآتية فان
كان في اعضاءه هضمه ييس واحترق فيوافقه من المياه
اعذبها واخفها واصفاها فان كانت مسترخية رطبة
وبلغمية فيوافقه من المياه اقساها واخشنها مع ملحوظة
قليلة فيها لذهابها بما زاد من الرطوبة . وافضل المياه

للمنضح والتحليل المياه التي تطلق البطن وتنسله والمياه
 الخشنة القاسية التي لا تصلح للمنضح تزيد احباس البطن
 ويوسته وربما وهم من كان قليل الخبرة بمقائق المياه
 الملحقة فظنها مطلقة الاحباس والحال انها تضرب بانتظام
 الطبيعة لانه يغلب معها قبض البطن على استرخائه
 لحشونتها واعدم موافقتها للمنضح . ذلك ما يلزم اعتباره
 في مياه الينابيع

٨ وانتقل للبحث في مياه المطار والثلج فمياه المطر
 اخف المياه واعذبها وارقيها واصفاها لان الشمس انما
 تجذب من الماء ما كان ارق واخف ويدل على
 ذلك تكون الملح فالجزء الملح لكشافته وثقله يبقى ويكون
 الملح والجزء الارق لخفته تجذبه الشمس وهذا الجذب
 لا يقتصر على مياه الآجام بل يعم البحر وكل سائل
 والسائل موجود في كل شيء فالشمس تجذب ايضا

ارق جزء في سائله واخفه والدليل ان الانسان
 اللابس اذا مشى او جلس في الشمس فاضاء بدنه
 المكشوفة للشمس لاتعرق لان الشمس تذهب بالعرق
 كلما تكوّن واما الاعضاء المستورة بالثياب فتتندى
 لان العرق المتكوّن على سطح البدن بجمارة الشمس
 يبقى محفوظاً بالثياب ولا يتبرّد فاذا جلس في الظل
 تندى بدنه جميعه بالسواء لامتناع عمل الشمس على
 ان اقل المياه ثباتاً مياه المطر فتتن رائحتها لانها اكثر
 المياه امتزاجاً وهذا الامتزاج يسرع فسادها ولكن من
 جهة اخرى الماء المجدوب والمحمول الى الطبقات
 العليا ينتشر في الهواء ويمتزج به فيفقد اجزائه الكثيفة
 الكدرة التي تصير سحبا وضبابا ويحفظ ارق اجزائه
 واخفها التي تلتطف بتسخين الشمس لها وطبخها اياها
 ومعلوم ان طبخ كل شيء يلطفه دائماً وما دام هذا الجزء

اللطيف مبدداً وبدون تكشيف يبقى منشراً في اعالي
 الهواء حتى يفاجئهُ من الرياح المتعابله ما يجمعهُ ويكثفه
 فينحدر من المكان الذي يكون فيه التكاثف اعظم فان
 المطر يتكوّن كلما تصادمت بغتةً شيوع تسوقها ربح
 بغيوم اخرى تسوقها ربح متقابل والتكاثف لا جرم
 يحصل اولاً في نقطة الاصطدام ثم تجتمع الغيوم المتأخرة
 وتلبد وتظلم وتكثف فتساقط انقلاها مطراً ولذلك
 كانت مياه المطر افضل المياه لكن يلزم اغلاؤها لمنع
 فسادها والافتتن رائحتها وتبع اصوات شاربها وتصير
 خشنة ومياه الثلج والجليد كلها رديّة فان الماء اذا جرد
 فقد ما له من الصفاء والخفة والعذوبة ولا يبقى منه الا
 ما هو اشد كدورة واتل كما يتضح لك من الامتحان
 الآتي: ضع في الشتاء قدراً معلوماً من الماء في اناء وضع
 الاناء في مكان الى ان يحمد الماء فيه كله ثم في الغد اقل

الاناء الى مكان حار حتى يذوب الجليد وبعد الذوبان
 كئل الماء ثانية فتجده نقص جداً وذلك دليل على ان
 جمود الماء يطير ويبدد اخف اجزائه وارقمها وليس
 اثقلها واكثفها وهو مستحيل وبناء عليه فانا اعبر مياه
 الجليد والثلج وما اشبه ارداء المياه لاي استعمال كان .
 ذلك ما خص مياه المطر والجليد والثلج

٩ الحصى والرمل وعسر البول وعرق
 النساء والفتق تكثر في البلدان التي يشرب سكانها مياهاً
 مختلفة الطبائع كماء الانهر العظيمة التي تصب فيها انهر
 اخرى ومياه البحيرات التي تصب فيها جداول من كل
 نوع وجميع المياه ذات المجاري القاسية فتختلف طبائعها
 لبعده مجاريها فالمياه الواحدة لا تشبه الاخرى فبعضها
 عذب وبعضها ملح او شبي وغيرها يأتي من ينابيع سخنة
 فبامتزاجها بعضها مع بعض تضاد صفاتها ويتغلب

اقواها والمياه الواحدة ليست الاقوى دائماً بل تارة تقوى
 هذه وتارة تقوى تلك بحسب فعل الرياح وببعضها
 يقوى بريح الشمال وبعضها بريح الجنوب وهكذا ويرسب
 من هذه المياه ضرورة وحل ورمل وشر بها يولد
 الامراض التي ذكرتها لاني جميع الناس على حدٍ سوى
 وهاك السبب فان الذين طبيعتهم لينة وصحجة ومثانتهم
 غير محترقة وعنقها غير متضيق جداً يبولون بسهولة فلا
 يجمع في مثانتهم شيء لكن متى كان في البطن احتراق
 فالمثانة تشترك ضرورة معه بهذه العلة فتسخن اكثر
 من العادة ويلتهب عنقها فلا يدفع البول فيبقى فيها
 تحت فعل الحرارة الزائدة فينفصل منه جزء الرقيق
 ويدفع الى خارج المثانة والجزء الغليظ الكدر يتكثف
 ويتصلب فتكون اولاً نواة حقيرة تتعاضم شيئاً فشيئاً
 بانضمام رواسب البول الغليظة اليها وهكذا يكبر حجمها

وتتصلب وعند التبول تندفع الى جهة عنق المثانة فتمنع
خروج البول وتحدث الماء شديداً فيفرك الصبيان
المصابون بالحصى القضيبي ويشدون ظانين ان في
ذلك ما يدفع البول. والدليل على ان الحصى تكون
بالترسب هو ان المصابين بها يدفعون البول رافقاً جداً
والجزء الفليظ الكدري يبقى في المثانة ويتكثف فيها هكذا
يتولد هذا المرض في اكثر الاحوال. وتولد الحصى
في الاطفال من اللبن ايضاً اذا كان اللبن غير صحيح
اي كان حاراً او صفراً او يالانه يحدث احتراقاً في اعضاء
الهضم والمثانة فيحترق البول وتحصل فيه تغيرات تكون
نتيجتها تكون الحصى وعندى انه يلزم لاجل ذلك ان
يسقى الاولاد الخمر المزوج بكثير من الماء فان هذا
الشراب قلما يحرق العروق ويبسها والصبيان معرضون
للحصى اكثر من البنات لان مجرى البول فيهن اقصر

واوسع فالبول يخرج منهم بسهولة واذا عرض لمن مرض
 الحصة فلا يفركن اغصاهن التناسلية ولا يلمسن صماخ
 مجرى البول وهذا المجرى يصب فيهن بقرب المبل
 واما في الذكور فهو شير مستقيم واضيق ثم ان البنات
 يشربن اكثر من الصبيان فهذه تقريبا اسباب الفرق
 بينهم

١٠ توجد علامات منها تعرف السنة
 تكون ردية ام جيدة فاذا لم يقع ادنى اختلاف في
 العلامات التي ترافق طلوع الكواكب وغياها وهطالت
 امطار في الخريف وكان الشتاء معتدلاً لا خفيفاً جداً
 ولا بارداً كذلك وكانت الامطار في الربيع والصيف
 كما يلزم ان تكون ففيها فلا جرم تكون مثل هذه السنة
 صحيحة جداً وان كان الربيع مطيراً وقد ورد على شتاء
 يابس شمالي كثرت في الصيف الحيات والرمد

واختلاف الدم لان الحر المفلل اذا ورد على ارض لم
 تنزل نديّة بمطر الربيع وبرج الجنوب فيكون للتسخين
 مصدران احدهما في الارض الندية المسخنة والثاني في
 الشمس الشديدة الحرارة وزد على ذلك ان البطن لا
 يكون قد اشتد بعد ولا الدماغ قد تفتت من الرطوبات
 لانه يستحيل في ربيع كهذا ان لا يكون البدن واللحم
 مشربين رطوبة فتكثر الحميات الحادة ولا سيما في
 المبلغمين ويعرض للنساء ولاصحاب المزاج الرطب جدا
 اختلاف الدم فان حدث في عيضم وقت طلوع الشعري
 مطروهبت شمال وثار زوابع رجي خير وتحاللت
 الامراض وكان الخريف صفيّا والاّ فيكثر الموتان في
 الاولاد والنساء بالامراض المتسلطة ومن ينجم منهم يقع
 الى الربيع ومن الربيع الى الاستسقاء ويقل الضرر في
 المشايخ وان حدث في شتائهم مطروهبت جنوب وكان

البرد خفيفاً وفي ربيعهم يمس وهبت شمال وكان البرد
 شديداً أكثر الاستقاط في الواضعات ربيعاً والضعف
 والسقم والموتان في اطفالهن اذا وضعن في وقتهن تلك
 هي العلل التي تعرض للنساء خاصة ويعرض لسائر
 السكان اخلافاً للدم والرمد اليابس وللضعف النوازل
 من الرأس على الرئة وربما عرض للمبلثين والنساء
 اخلافاً للدم لرتوبة مزاجهم ولكثرة النوازل من
 رؤوسهم والمصفراويين الرمد اليابس لسخونة لحمهم
 ويوسته وللطاعتين في السن النوازل التي قد تمت
 البعض وتحدث في البعض الآخر شلل الجانب الايمن
 او اليسر لاسترخاء عروقهم وانتهاكها لان الشتاء اذا
 كان جنوبياً فلا الدم ولا العروق تشد في بدن مسخن
 واذا ورد على هذا الشتاء ربيع شمالي يابس وبارد
 فالدماغ عند دخول هذا الفصل الاخير يشمد ويتيبس

اذ كان يجب ان يتحمل ويتنى بالزكام والجوحة واخيراً
 اذا دخل الصيف وهم المحرو تنير الطقس فجأة فتولد
 عند ذلك الامراض المذكورة آنفاً وبقى تأثير هذه
 التغيرات في البلدان المعرضة للشمس والرياح والتي
 مياهها جيدة وبكثر في البلدان التي موقعها ردي ومياهها
 راكدة بطيئة فان كان الصيف يابساً تقصر مدة
 الامراض وتطول اذا كان مطيراً ونجش ترهل القروح
 لاقل سبب ويعرض في آخر الامراض استطلاق البطن
 والاستسقاء لسبب ان البطن لا يجف بسهولة فاذا كان
 الصيف وكذلك الخريف مطيراً جنوبياً فالشتاء
 ضرورة يكون ردياً ويعرض للمبلغمين ولمن فوق
 الاربعين حيات محرقة وللصفراويين ذات الجنب
 وذات الرئة فان كان الصيف يابساً شالياً والخريف
 مطيراً جنوبياً كثر في الشتاء الآتي الصداع وامراض

دماغية خطيرة والمجوحة والزكام وفي البعض السل
فان كان الطقس في الصيف والخريف شاملياً يابساً ولم
يحدث مطر في وقت طلوع الشعري ولا في طلوع
الدب كان ذلك موافقاً للمبلنمين ولاصحاب الطبائع
الرطبة وللنساء وعدم الموافقة جداً للصفراويين لانه
يزيد بدستهم فيولد فيهم الرمد اليابس والحيات الحادة
الطويلة وفي البعض ايضاً امراضاً سوداوية لتحلل
اللطف من الصفراء وبقاء الكشف اللذاع وكذلك
يحصل في الدم وذلك سبب الامراض في الصفراويين
واما المبلنمون فكل ذلك يوافقهم جداً فان بدنهم
يبس ولا يدخل عليهم الشتاء حتى يكونوا قد تنقوا
من الرطوبات المائلة ابدانهم

|| ففحص مجرى فصول السنة على هذه
الكيفية مع التأمل يفيد لمعرفة أكثر ما سيحدث عن

تغيراتها وينبغي الحذر جداً من التغيرات العظيمة فتجنب
 المساهل إلا للضرورة كبرى ويجنب الكي والشق في
 الاجزاء القريبة من البطن قبل مضي عشرة ايام على
 الاقل واعظم التغيرات شدة وخطراً الانقلابان خاصة
 الانقلاب الصيفي والاشد الان خاصة الشدال
 الخريفي وينبغي ايضاً ملاحظة طلوع الكواكب واولاً
 الشعري ثم الدب وشباب الثريا لان الامراض تُعرف
 طبيعتها في هذه الايام خاصة فبعضها يشتد ويميت
 وبعضها يخف وغيرها يأخذ شكلاً آخر ومزاجاً آخر
 ذلك ما يختص بالفصول

١٢ أريد الآن ان اقابل بين آسيا واوربا
 وابين مقدار الفرق بينهما في كل شيء واقابل بين وجمه
 السكان وابين ان سكان الواحدة لا يشابهون سكان
 الاخرى بشيء ويطول بي الكلام جداً اذا عدت كل

الاختلافات فاقصر على ما هو اعظم واهم بحسب ما ارى
 فاقول ان اسيا تختلف اختلافاً عظيماً عن اوروبا بطبيعة
 محاصيلها وطبيعة سكانها فجميع ما في اسيا اجل واكبر
 منه في اوروبا واقلها اجود وسكانها ارق طباعاً واهداً
 وسبب ذلك اعتدال فصولها فانها لموقعها بين شروقي
 الشمس ^٥ معرضة للشرق بعيدة عن البرد والاقليم
 الذي لا يحرف عن الاعتدال انما تكثر محاصيله وتجود
 واسيا ليست واحدة في كل الجهات فما كان منها
 واقعاً متوسطاً بين الحر والبرد كان كثير الاثمار
 جميل الاشجار صافي الهواء جيد الماء مطراً كان
 ام ماء ينابيع اذ ليس فيه حر زائد بحرقه ولا قلة ماء
 تيبسه ولا برد فارس يتعبه ولما كان دائم الرطوبة
 بسبب الامطار الغزيرة والتلج كانت ارضه تعطي ثراً
 كثيراً مزروعاً كان او من النباتات التي تنبت في الارض

من نفسها والتحق يصلح السكان خواصها البرية أما
 بالتربية وأما بنقلها الى ارض صالحة ويستخدمونها
 لغرضهم وتنمو المواشي جداً في هذا الصقع ويكثر نتاجها
 واهله سامان ويوصفون بحمال الصورة واعندال القامة
 وقولما يختلف بعضهم عن بعض في القدر والشكل فمثل
 هذا الاقليم ايامه اشبه بايام الربيع لا عندال فصوله انما
 ليس لسكانه شجاعة الرجال ولا الصبر على المشقة ولا
 الثبات في الاعمال ولا علو الهمة وطيناً كان اصلهم امر
 غريباً وينقلب فيهم حب اللذات على كل شيء ...
 ولذلك كانت الحيوانات تختلف اشكالها فهذا على ما
 يظهر لي حال المصريين وسكان ليبيا^(١)

١٣ وأما سكان البلدان الواقعة عن

(١) قوله ولذلك الى آخر الجملة غير مرتبط بما قبله وبسندل
 من ذلك على انه تابع لكلامه فتعود عبرنا عنه بالنقط كما ترى

(٢) بين شروق الشمس الشتوي حتى بالوس ميو تيدس
 (وهو الحد الفاصل بين اسيا واوروبا) فيشابه بعضهم
 بعضاً اقل من الذين تقدموا لاختلاف فصولهم
 وطبيعة اقاليمهم وما يقال عن السكان يقال ايضاً عن
 الارض فحيثما كانت تغيرات الفصول اعظم واشد كانت
 البلاد اكثر استيحاشاً واقل استواءً تكثرت فيها الجبال
 والاشجار والسهول والنياض وبالضد من ذلك البلاد
 التي فصولها ليس يعرض لها تغيرات عظيمة فانه بالتشابه
 جداً واذا نظرنا الى السكان رأيناهم كذلك ايضاً فمنهم
 من هو في طبيعته اشبه بالبلاد الرطبة ذات الجبال
 والاشجار ومنهم من هو اشبه بالارض اليابسة الرقيقة
 ومنهم من هو اشبه بارض كثيرة النياض ومنهم من هو
 اشبه بسهول جرداء قاحلة لان الفصول التي تغير

اشكال البدن مختلف بعضها عن بعض وكلما عظم هذا
الاختلاف كان الفرق بين البشر في الصورة عظيماً

١٤ اني اغض النظر عن الامم التي تختلف
قليلاً فيما بينها واقتصر على ذكر التباينات الجسمية
الناشئة اما من الطبيعة واما من العادة واذكر اولاً جيل
الميكروسفال^(٣) فان هذا الجيل لا يوجد جيل^٢ يشبهه في
تكوين الرأس وفي الاصل كانت العادة سبباً لطوله ثم
صار للطبيعة يد في ذلك واصل هذه العادة انهم
يعتبرون طول الرأس من علامات النبالة وهذه طريقة لهم
فيه فأول ما يولد الطفل اذ تكون اعضاؤه^٤ مسترخية
ورأسه ليناً يضغطون الرأس بين اليدين حتى يتناول
ويشدونه بربط وآلات مناسبة يفقد بها شكله الكروي
وتزيد في طوله وهذا التكوين نشأ في الاصل عن

العادة ثم صار مع الزمان طبيعياً لا حاجة فيه الى العادة
 فان المني يأتي من كل اجزاء البدن صحيحاً من الاجزاء
 الصحيحة وغير صحيح من الاجزاء الغير الصحيحة فاذا كان
 الآباء الصلح يلدون اولاداً صلحاً وذوو العيون
 الزرق اولاداً بعيون زرق مثلهم والحول حولاً نظيرهم
 الخ فما المانع ان اناساً طوال الرؤوس يلدون اولاداً
 طوال الرؤوس نظيرهم واما اليوم فقد فقد ذلك لان
 العادة قد ضاعت بمخالطة الشعوب الاخرين ذلك فيما
 ارى تارنج الميكروسفال

١٥ وسكان الفاش وهم شعب آخر جدير
 بالنظر يقبمون في بلاد بطيحية حارة رطبة مشجرة كثيرة
 المطر غزيرته في كل الفصول ويتقنون حياتهم بين
 البطايج ومساكنهم من الخشب او القصب قائمة في وسط
 المياه ولا يمشون الا في المدينة وفي السوق المفتوح للغرباء

وإنما يتقلون بزوارق مصنوعة من ساق واحدة من
 الشجر يصعدون بها وينزلون في المجاري الكثيرة
 ويشربون مياهًا سخينة راكدة آسنة من حرّ الشبر وآتية
 من المطر. والفاش نفسه أركد الأنهر وإبطاها جريًا
 وإثار البلاد كلها رديئة ناقصة ليس لها طعم لكثرة الماء
 الذي يمنع نضجها ويغطي البلاد بالضباب على الدوام
 ولذلك كان سكان الفاش يختلفون عن سائر الناس
 فهم طوال القامات سمان جدًا لا يرى لهم مفصل أو
 عرق ولونهم أصفر كمن به يرقان وصوتهم خشن عمن في
 كل مكان آخر لأن الهواء الذي يستنشقونه غير صحيح
 لكثرة الرطوبة والضباب فيه وليس لهم صبر على الأشغال
 البدنية وفصولهم لا يقع فيها تغيرات عظيمة لا بالحر ولا
 بالبرد والرياح الغالبة عندهم رطوبة ما خلا ريحًا يسمونها
 سنكرون (ريح ميبس) قد تضرّ لشدتها التي توصف

بها احيا نار لسخونتها والشمال قلما توافيهم واذا هبت فلا
تكون قوية ولا شديدة ذلك هو الفرق في الطبائع
والاشكال بين سكان آسيا واوروبا

١٦ واما ضعف العزم والجبن فاذا كان اهل اسيا
اقل نجدة للحروب وارق طبعاً كذلك من اهل اوربا فانما
ذلك لقلة التغيرات الطارئة على فصولهم بالبرد والحر
فلا يكاد يحس بالفرق بينهما فلا جرم ان العقل فيها لا
يشعر باهتزازات ولا البدن باضطرابات شديدة مما يولد
في الانسان الشراسة وعدم الاتقياد والحدة بخلاف
الاعتدال الدائم لان ما ينبيه العقل ويخرجه من سكونه
انما هو الانتقال فجأة من حال الى حال . فتلك فيما ارى
اسباب جبن اهل اسيا وزد على ذلك أيضاً الاحكام فان
اعظم قسم في اسيا تحكمه ملوك وحيثما كان الناس عبيداً
لغيرهم فهم لا يهتمون بالتمرن على السلاح بل الفرار من التجند

لان الخطر غير موزع بالسواء فالرعايا يذهبون الى الحرب
 ويحملون مشاقها ويموتون عن اسيادهم ايضا بعيدين عن
 اولادهم ونسائهم واصدقائهم. واسيادهم هم الذين يجنون
 ثمرة اتعابهم وشجاعتهم لمد شوكتهم وامامهم فلا ينالهم غير
 اقتحام الاخطار والموت وعدا ذلك فهم يرون ان الحرب
 وتبطل الشغل يجعلان حقولهم جرداء مرداء حتى ان
 الذين خصتهم الطبيعة منهم بالقلب والشجاعة كانوا
 ينصرفون عنها بسبب الاحكام واعظم دليل على ما اقول
 ان جميع الذين في اسيامن اليونان والبربر الذين لاسادة
 عليهم بل هم الذين يحكمون في انفسهم وعليها بشرائهم
 ويشغلون لانفسهم هم بين سكانها انجدهم للحروب واقدمهم
 على الخطر لانهم هم الذين يجنون ثمرة شجاعتهم ويحملون عار
 جبنهم وما عدا ذلك فانك تجد ايضا بين اهل اسيا
 اخلافات فهذا اشجع وذاك اجبن واسبابها تغيرات

الفصول كما قلت في ما تقدم ذلك ما يختص بأسبياً

١٧ وفي اوربا شعب من الصقالب يقطن في
نواحي بالوس ميوتيدس ويختلف عن سائر الشعوب هو
شعب الصور مات نساؤه يركبن الخيل ويشددن القوس
ويرمين السهام وهن راكبات ويقاتلن ما دمن عذارى
ولا يتزوجن قبل ان يقتلن ثلاثة اعداء ولا يساكن
حتى يتمن فروض الشريعة ومتى تزوجت احدا هن تنقطع
عن ركوب الخيل الا اذا اضطرت الامة كلها لالحمل السلاح
وتدينن الامن مفقود فان امهاتهن يحمين آلة من نحاس
مصنوعة لذلك وبحرقن بها الثدي المذكور وهن
طفلات فيتوقف نمو الثدي وتحول كل القوة والتغذية
الى منكب الجانب المذكور وذراعه

١٨ وباقي الصقالب يتشابهون فيما بينهم بمقدار
ما يختلفون عن سائر الشعوب والسبب فيهم كما في المصريين

انما هو في هؤلاء زيادة الحر وفي اولئك زيادة البرد
 وما يسمونه صحراء الصقالب هو سهل منخصب كثير
 الاعشاب مرتفع ومعتدل الرطوبة لانه تقطعه انهر كثيرة
 تصب بعيداً عن الحقول هناك يقيم الصقالب المسمون
 رحلاً لانه ليس لهم مساكن ثابتة فهم يقيمون في المركبات
 واصغر هذه المركبات له اربع عجلات ولغيره ست وهي
 مجللة بقماش من الصوف ومبنية كالبيوت وبعضها ليس
 فيه سوى غرفة واحدة وبعضها ثلاث وهي منيعة لا ينفذها
 المطر ولا الثلج ولا الريح وبعضها يجره زوجان او ثلاثة
 من البقر العديم القرون وسبب عدم قرونيه البرد فالنساء
 يقمن في هذه المركبات والرجال يرافقونهن على الخيل
 وتبعهم اغنامهم وابقارهم وخيولهم ويقيمون في المكان مادام
 فيه من المرعى ما يكفي لتغذية المواشي فاذا فرغ انتقلوا الى
 غيره وياكلون لحوماً مشوية ويشربون لبن الخيل

ويصنعون منه ابضاً نوعاً من الجبن يسمى هيباس تلك هي
عوائدهم وجنس معيشتهم

١٩ بقي علينا ان نتكلم عن الفصول وعن
اوجه الفرق بين الصقالب وسائر الناس وعن مشابهيهم
بعضهم لبعض كالمصريين وعن قلة نسلمهم وعن صغر
حيواناتهم وقتلها فبلاد الصقالب واقعة تحت الدب
وتحت جبال ريفيس من حيث تهب ريح الشمال
والشمس لا تقترب منها الا في الاثقالب الصيفي وعند
ذلك لا تسخنها الا قليلاً وزمناً قصيراً والرياح التي
تعصف من الجهات الحارة لا توافيها الا نادراً او تكون
ضعيفة وبالعكس من ذلك يوافيها من الشمال رياح باردة
بسبب الثلج والجليد والرطوبة التي لا تنقطع عن جبال
رلفيس وهذا ما يدع هذه الجبال غير صالحة للسكنى.
ويغطي ضواحيها ضباب كثيف طول النهار والناس

يتيمون في هذه الضواحي شتاءها طويل وصيفها قصير
 وإيامه غير حارة وهذه الضواحي مرتفعة ومعرة وليس
 فيها جبال وإنما سير معدا حتى تصل إلى تحت الدب
 وحيواناتها ليست كبيرة إنما هي ذات قدر يمكنها من
 الاتجاء تحت الأرض والذي يمنع نموها إنما هو برد الشتاء
 وجذب الأرض فلا تجد فيه غذاء ولا ملجأ وإما فصولها
 فيقع فيها تغيرات عظيمة أو شديدة لذلك قلما تختلف
 بعضها عن بعض وهذا هو سبب مشابهة الصقالب
 بعضهم لبعض لأن طعامهم في الصيف والشتاء واحد
 وكساؤهم واحد ويتنفسون هواء رطباً كثيفاً ويشربون
 مياه الثلج والجليد وهم بعيدون في أحوال حياتهم عن
 التعب وإنه يستحيل أن يشتغل البدن والنفس كثيراً
 في مكان لا تكون تغيرات فصوله عظيمة لذلك كان
 الصقالب ضرورة ضخماً منهم بحجب مفاصلهم وإبدانهم

رطوبة مسترخية وتجاويفهم ولا سيما السفلى ملائمة رطوبة لانه
لا يمكن ان يبس البطن في مثل هذه البلاد ومع هذا
المزاج وتحت هذا الاقليم فسمهم وبضاضة جلد هم يجعلانهم
متشابهين بعضهم لبعض رجالهم لرجالهم ونساؤهم لنسائهم
لانهم لما كانت فصولهم تكاد تكون واحدة لم يكن المنى يحصل
في تحمده فساد او تغير الا لآفة او مرض

٢٠ وهذا دليل واضح على رطوبة ابدانهم وهو
ان اكثرهم وهكذا جميع القبائل الرحالة مكوّنون على
مناكبهم وذراعانهم ومعاصمهم وصدورهم واوراكهم وقطنهم
لرطوبة بدنهم ورخاوتهم لا لسبب آخر وتلك الرخاوة
تمنعهم من شد القوس ولا تدع لمناكبهم قدرة على رمي
السهم واما الكي فيذهب بزيادة الرطوبة من المفاصل
ويشد اطرافهم ويزيدها تغذية وبروزاً. واما سبب
استرخاء ابدانهم وضمخامتهم وقصرهم فالانهم لا يستعملون

القماط كما في بلاد مصر ولا يريدون هذه العادة ليحسن
جلوسهم على ظهور الخيل وثانياً لعيشتهم التي يلبثون فيها
دائماً ساكنين والصبيان ماداموا غير قادرين على الركوب
يقعون أكثر أوقاتهم في المركبات قاعدين ولا يمشون على
أرجلهم الأ قليلاً لأنهم دائماً في الرحيل والتطواف. وأما
النساء ففي غاية الرطوبة والبلادة ولون الصقالب احمر
مسمراً بسبب البرد فان الشمس لاتوافيهم شديدة فيحترق
بياض الجلد بالبرد فيحمر

٢١ فتل هذه الطبائع لاتكون كثيرة الولد
أما الرجال فلأنهم ضعاف الباه لرطوبة مزاجهم واسترخاء
بطنهم وبرودته وذلك مما يجعلهم غير صالحين للتناسل ثم
أنهم لركوبهم المستمر يتعبون فيفقدون هذه القوة فتلك هي
أسباب قلة نسل الرجال وأما النساء فلأنهن سمان الأبدان
رطابها فليس في إمكان الرحم أن يجذب المني لان الطمث

ففيهنَّ غير متظم وقليل تفصله فترات طويلة ولان في الرحم
 مسدود بالدهن فلا يقبل الزرع. وزد على ذلك كسلهنَّ
 وسمنهنَّ وبرودة بطنهنَّ واسترخاءه فاجتماع هذه لاسباب
 جملة تجعل الصقالب ضرورة قليلة النسل وجواريهنَّ
 السود دليل عظيم على صحة هذا التعليل فانهنَّ لا يمنعن
 برجل حتى يجلنَّ وذلك لانهنَّ يشتغلنَّ وهنَّ هزل
 من سيداتهنَّ

٢٢ وليعلم ان بين الصقالب رجالا كثيرين
 فاقدى قوة الباه فيقاصون انفسهم بتعاطيهم اشغال النساء
 ويتكلمون نظيرهنَّ ويسمونهنَّ مؤثنين وهم ينسبون سبب
 هذا الضعف الى الالهة فيكرمون هؤلاء الرجال
 ويعبدونهم لان كلامهم يخاف على نفسه ان يقع في هذه
 العلة واما انا فارى ان هذا المرض آت من الاله كسائر
 الامراض فليس منها ما هو الهى او بشرى اكثر من الآخر

بل كلها متشابهة وكلها الهية وكل مرض له كهذا المرض
 سبب طبيعي وبدون سبب طبيعي ليس يكون شي وهذه
 فيما ارى كيفية حصول هذا الضعف فانه نتيجة ركوب
 الصقالب المستمر فان ذلك يسبب فيهم احتقانات في
 المفاصل لاستمرار تدلي رجلهم عن ظهور الخيل وربما
 اصابهم من ذلك أيضا القرح وامتداد الورك اذا اشتد
 بهم ويعالجون ضعفهم كما ياتي وهو انهم في اول العلة
 يفصدون الوريد الكائن وراء احدى الاذنين فينعسون
 بسبب الضعف الناشئ عن سيلان الدم وينامون ثم
 يهبون من رقادهم بعضهم صحيحا وبعضهم لا وارى ان هذا
 العلاج مفسد للمني لانه يوجد اوردة خلف الاذنين اذا
 قُطِعَتْ فقد المقطوعة فيهم قوة الباه ويظهر لي انها هي التي
 تفصد ثم يقربون النساء بعد ذلك فان لم يستطيعوا
 المباشرة ففي المرة الاولى قلما يهتمون ويرتاحون لكن اذا وقع

لهم ذلك مرتين او ثلاث مرات او اكثر فيتصورون انهم
 مذنبون ضد الاله الذي ينسبون له علمهم فعند ذلك يفشون
 ضعفهم ويلبسون ثياب النساء و يعيشون نظيرهن
 ويشغلون اشغالهن وهذا المرض في الصقالب لا يعرض
 للصعاليك بل للاغنياء ذوي الاقتدار بالجاه والمال
 لركوبهم الخيل وانما كان قليلاً في الفقراء لعدم ركوبهم ثم لو
 كان هذا المرض الهيا اكثر من سائر الامراض لما وجب ان
 يختص باعظم الصقالب جاهاً وثروة بل ان يتساووا فيه
 جميعهم بل بالحري ان يختص بالفقراء الذين لضيق ذات
 يدهم لا ينجحون ولا يضحون قط هذا ان صح ان الاله تسر
 بقرايين البشر وتجزل عليهم النعم لاجلها لان الاغنياء ذوو
 اقتدار على نحر الهدايا وتقريب القرايين واما الفقراء فققرهم
 يمنعهم من ان يصنعوا نظيرهم وربما رموا الاله بانهم علة
 فقرهم فكان يجب ان يقع القصاص على الفقراء لا الاغنياء

فكل ذلك كما قلت أنفاً لله كغيره فان كل شي عاثر
 بمقتضى النواميس الطبيعية والمرض الذي فيه كلامنا
 يتولد في الصقالب من السبب الذي ذكرته وهكذا ايضا في
 سائر الناس فحيثما يكون ركوب الخيل يومياً يعرض لكثيرين
 ورم المفاصل وعرق النساء والنقرس ويصيرون غير
 صالحين للتناسل فهذه العلل تعرض للصقالب وتجعلهم
 اضعف الرجال وزد على ذلك انهم يلبسون السراويل
 وانهم يكادون ان يكونوا دائماً على ظهور الخيل فلا
 يستطيعون ارسال اليد الى الاعضاء الطبيعية وانهم
 منصرفون عن شهوة الجماع بسبب البرد والتعب فلا
 يحاولونه حتى يكونوا قد فقدوا قوة الباه ذلك ما اردت
 بيانه عن أمة الصقالب

٢٢ واما باقي امم اوروبافيتختلف بعضهم عن
 بعض في القدر والتكوين وهذه الاختلافات ناشئة عن

اختلافات الفصول فانها عظيمة ودائمة فالحر شديد
 والشتاء بارد والامطار غزيرة ثم يرد يس طويل ورياح
 تزيد التغيرات الجوية وتنوعها فلا جرم يؤثر ذلك في
 النسل فيختلف تكوين الجنين ولا يكون واحداً في الصيف
 والشتاء والمطر والقيظ ولذلك فيما رى كان اهل اور وبا
 يختلفون في الصورة فيما بينهم اكثر من اهل آسيا وكان سكان
 المدينة الواحدة يختلفون كذلك في القامة لان تكوين
 الجنين يتغير في اقليم تكثرفيه اختلافات الفصول اكثر
 من اقليم تشابه فصوله ومثل ذلك يحصل ايضا في الاخلاق
 فان في مثل هذه الطبائع تغلب الاستعدادات الشرسة
 والخشونة والغضب لان الاهتزازات الدائمة الناشئة عن
 الاقليم تكسب المخلق خشونة وتنزع منه اللين والدعة
 لذلك كان اهل اور وبا كما ظن اشجع من سكان آسيا لان
 الحال الواحد اذا دام ولد النحول والاقليم المتغير ينشط

البدن والنفس معاً وإذا كان السكون والكسل يريان
 المجهن فلا جرم ان الحركة والعمل يريان الشجاعة لذلك
 كان اهل اوروبا اشد نجدة للحروب وكذلك بسبب
 الاحكام ايضاً لانهم ليسوا كاهل آسيا تحكمهم ملوك والناس
 الخاضعون للحكم الملكي يفقدون الشجاعة ضرورة كما قلت
 في ما تقدم لان نفوسهم تكون مستعبدة فقلما يهتم التعرض
 للخطر لمذسوة غيرهم واما اهل اوروبا فتحكم شرائعهم
 لذلك هم اذا راوا الخطر محققاً هم اقدموا عليه لاجل مصلحتهم
 لا لاجل مصلحة غيرهم واستقبلوه بنفوس راضية ورموا
 بانفسهم للاقدار غير هائين لان النصر عائدة عليهم وعليه
 فالشرائع شأنها غير قليل في توليد الشجاعة . ذلك هو
 النظر العام في اوروبا بالمقابلة مع آسيا

٢٤ وفي اوروبا ايضاً شعوبٌ يختلف بعضهم
 عن بعض في القدر والشكل والشجاعة للاسباب التي

ذكرتها آنفاً والتي أريد اسهاب الكلام عليها أكثر فان
سكان بلاد جبلية صعبة مرتفعة كثيرة الماء عظيمة
اختلافات الفصول هم طوال القامة اصحاب ابدان
قوية تصلح للشغل ولافعال الشجاعة وايضاً الاستعداد
للشراسة والتوحش في مثل هذه الطبائع غير قليل
وسكان بلاد غائرة ذات غياض شديدة الحر تغلب
فيها الرياح الحارة على الباردة ومياه الشراب فيها سخينة
هم في الغالب ليسوا كباراً ولا متناسين جداً بل قصار
ضخام لحام وشعرهم اسود غالباً مايل الى السمرة أكثر
من البياض ومزاجهم بلغى أكثر مما هو صفراوي
وهم من طبعهم ليسوا شجعاناً جداً ولا ذوي اقتدار على
العمل انما تساعدهم احكامهم فتولد في نفوسهم هاتين
الصفتين . وسكان بلاد تقطعها انهار تذهب بالماء
الراكد وبماء المطر تكون صحتهم جيدة ولونهم حسناً والآ

فان لم تكن ذات انهار وكانوا يشربون مياه الينابيع ومياهها
 راكدة بطبيعة فيكونون عظام البطون ضخام الاطحة .
 وسكان بلاد مرتفعة رطبة متسلطة عليها الرياح
 يكونون طوال القامات متشابهين جداً طباعهم ارق
 واقل نهوضاً وسكان ارض خفيفة قاحلة عديمة الماء
 فصولها غير معتدلة يكون بدنهم يابساً عصياً ولونهم الى
 الشقرة اكثر من السمرة وطبعهم الى العجب وعدم الانقياد
 لانه حيث يشتد اختلاف الفصول يشتد كذلك
 الاختلاف في عادة البدن وفي الطبع والمزاج فهذه هي
 الاسباب التي تغير طبيعة الانسان اشد تغير ثم تأتي
 التربة التي يؤخذ منها الغذاء والمياه التي تستعمل وبالحاجة
 فانك ترى على الاطلاق ان شكل البدن واستعدادات
 النفس موافقة لطبيعة المكان فحيثما كانت التربة مخصبة
 لينة كثيرة المياه والمياه غير عميقة سخنة في الصيف باردة

في الشتاء والفصول معتدلة كان السكان لحاماً ضعافاً
 وأبدانهم رطبة وطباعم فائرة وغالباً ليس عندهم شجاعة
 في النفس يولاهم الإهمال والنحول وليس لعقلهم الغليظ
 ذكاء ولا فطنة في الصنائع فإذا كانت التربة جرداء
 غير محمية بمجسوة متعبة بقساوة الشتاء ومحتركة بحرارة
 الشمس كانت أمزجة سكانها شديدة يابسة ومفاصلهم
 باردة وأبدانهم عصبية كثيرة الشعر ويغلب فيهم النشاط
 والذكاء والحرص وكذلك العجب وعدم الاتقياد وهم
 إلى الشراسة أقرب من اللين ويكونون أصحاب نباهة
 وفطنة في الصنائع وشجعاناً في الحروب وبالجملة فإن
 كل ما تنبت الأرض مطابق لها فهذه أشد الأحوال
 المتقابلة المتعلقة بالخلق والأخلاق وبالقيااس على ما
 ذكر بحكم على ما لم يذكر بدون خوف الغلط